مقياس النقد الأدبي المعاصر
السنة الثانية لسانس/ تخصص لسانيات / المجموعة الأولى
إعداد الأستاذة معاندي

النقد البنيوي

مدخل:

تعد البنيوية منعطفا هاما في المسار النقدي المعاصر، يؤشر به إلى التحولات الجذرية التي شهدتها نظرية المعرفة. لقد جاءت البنيوية استجابة لرغبة قوية وجامحة للوصول إلى تلاقح مختلف مجالات المعرفة، بعد أن هيمن التشظي والانقسام عليها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لتتفرع العلوم إلى تخصصات دقيقة متعددة بعيدة عن بعضها البعض.

لقد طمحت البنيوية لأن تكون منهجية شاملة توحد جميع المباحث المعرفية من التاريخ حتى الرياضيات في نظام شامل جديد من شأنه أن يفسر علميا الظواهر الإنسانية كافة تبعا لمبادئ مستمدة في جوهرها من الألسنية.

وهكذا لم تعد النظرة العلمية إلى الأشياء والظواهر نظرة جزئية تصل إلى معرفة الكل من خلال الجزء وخصائصه، وإنما أصبحت نظرة تهتم بالعلاقة التي تسود بين الأجزاء وتحدد النظام الذي تتبعه الأجزاء في ترابطها، والقوانين التي تنجم عن هذه العلاقة وتشارك في بنيتها في الوقت عينه. لقد تحول المنهج المعرفي البنيوي من محاولة معرفة "ماهية الشيء" إلى محاولة معرفة كيفية ترابط أجزائه وعملها مجتمعة.

أ- أصول البنيوية:

1) إسهامات دوسوسير/ مدرسة جنيف(L'école Linguistique de Genève):

استند الفكر البنيوي في أطروحته الجديدة على "علم اللغة"، باعتبار اللغة الأساس الفاعل المنتج لمختلف المفاهيم، ومن هنا كان النظام اللغوي هو "الأنموذج" بالنسبة للدراسات البنيوية، وقد شكلت المبادئ اللسانية ل"دوسوسير" (Ferdinand De Saussure,1857-1913)- في هذا الصدد- نقطة الانطلاق في النظرية البنيوية[1].

ومن المعروف أن دوسوسير، قد غير أصول البحث التقليدي للغة عندما اعتبر اللغة نظاما من العلامات التي تعبر عن الأفكار وليس الأشياء، وهذا معناه أن لا شيء يتميز قبل البنية اللغوية.

[1]Voir ;Gérard Gengembre, Les grands courants de la critique Littéraire, Editions du Seuil,1996,p32.

ومن أجل استقراء أبعاد الظاهرة اللغوية، لجأ "دوسوسير" منهجيا إلى اشتقاق بعض ثنائيات عدت مرتكزات أساسية في الدرس اللغوي الحديث وفي النقد البنيوي:

اللغة والكلام: لقد ميز "دوسوسير" بين اللغة كنظام من الأدلة (العلامات) تعبر عن الأفكار-أو لنقل بتعبير صلاح فضل-« نظام من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة»[1]، والكلام كحدث فعلي يمارسه فرد ما ، وبالتالي فهو «متعدد الأشكال،متنافر المسالك، مختلف الصيغ تتنازع دراسته مجالات متعددة من طبيعية وعضوية و نفسية»[2].

اللغة كنظام هي مجموعة من القواعد والقوانين المحددة التي تهيئ حدوث الممارسة الفعلية لعملية القول، لهذا يتحدد معنى الكلمة (العلامة) في جملة ما من موقعها المكاني الذي تحتله أفقيا في الجملة، وعلاقاتها بما قبلها وما بعدها، وكذلك من السمات العمودية للكلمة (مجموع البدائل والأضداد أو المترادفات التي من شأنها أن تحل محلها).

_ **الدال والمدلول (العلامة):** العلامة أو الدليل اللغوي هي البنية الأساسية التي تقوم عليها مختلف مفاهيم البنيوية، لهذا لها أهمية كبرى، وقد جاء "دوسوسير" أن العلامة هي علاقة بين الدال والمدلول أي بين الصورة السمعية والصورة الذهنية أو النفسية.

إن الدال هو« الترجمة الصوتية لتصور ما، والمدلول هو المستثار الذهني لهذا الدال، ومن هنا تتضح وحدتها البنائية العميقة»[3] في العلاقة اللغوية، التي يمكن– في هذه الحالة- مقارنتها بالورقة، وكما أننا لا نستطيع أن نعزل وجهي الورقة، فإننا لا نستطيع في اللغة أن نفصل بين الصوت والفكر، ويمكن أن نفهم على ضوئه الجانب الاعتباطي في اللغة، وقد توصل "دوسوسير"– في هذا الصدد- إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول تتسم بالاعتباطية على المستوى الطبيعي، لكنها على المستوى الثقافي المؤسساتي تحكمها قوانين بنيتها وتعطيها خصائصها الدلالية[4]، وبالتالي فالدلالة ليست شيئا خارجا عن العلامة، وإنما تنتج من العلاقات التي تقوم بين العلامات بعضها مع بعض في تركيب الجملة، وبهذا تستقل الدلالة اللغوية عن مرجعها الخارجي.

_ **التزامن والتعاقب:** لقد ميز "دوسوسير" بين محورين في دراسة اللغة المحور التزامني (الوصفي الآني، الثابت) من جهة، والمحور التاريخي (التعاقبي، الزمني، التطوري) من جهة أخرى، وفي تقديره - أي دوسوسير- أن الدراسة التزامنية للغة هي الكفيلة بالعثور على بنية اللغة ونظامها المستقر، ذلك أنه «يشترط لالتقاط موضوع الدراسة، عزل جوانب المتغيرات التاريخية وتثبيت عنصر الزمن فيها ولو بشكل مؤقت»[5].

وعلى الرغم من أن "علم اللغة" هو الغطاء النظري البنيوي والمنبع الحقيقي لمجموعة المصطلحات التي استخدمت في المجالات المعرفية الموازية لها، إلا أن نسب البنيوية يضرب أيضا – بجذوره في الشكلانية الروسية والنقد الجديد.

2- ميراث الشكلانية الروسية(Formalisme Russe):

---

[1]-صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع،القاهرة،د.ط ،1992 26

[2]- المرجع نفسه ، ص ن.

[3]- المرجع نفسه، ص42و43.

[4]- ينظر:ميجان الرويلي سعد البازعي ،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط4 ،2005، ص69.

[5]-صلاح فضل، نظرية البنائية ،ص31.

في عام 1915، قامت مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو بتشكيل "حلقة موسكو اللغوية"، كحركة منظمة تستهدف استثمار الحركة الطليعية الأدبية، والقضاء على المناهج القديمة في الدراسات اللغوية والنقدية، وبعد ذلك بعام واحد انضم إلى صفوفهم مجموعة أخرى من نقاد الأدب وعلماء اللغة، وألفوا جمعية دراسة اللغة الشعرية التي تعرف باسم "الأبوياوز(Opoiaz)، وبذلك ولدت المدرسة الشكلية، انطلاقا من هذين المركزين معا[1].

لقد انصب اهتمام الشكلانيين الروس على إرساء دعائم الدراسة الأدبية على قاعدة مستقلة، وقد عمدوا –منذ البدء- إلى تحديد مجال الدراسة الأدبية، وذلك باستبعاد كل التعريفات التي تتعامل مع الأدب باعتباره محاكاة أو تعبيرا أو تفكيرا بوساطة الصور، «رافضين المقاربات السيكولوجية، أو الفلسفية ،أو السوسيولوجية التي كانت ،في ذلك تسير النقد الأدبي الروسي»[2]، ومنطلقهم أن الناقد الأدبي عليه أن يواجه الآثار نفسها، لا ظروفها الخارجية التي أدت إلى إنتاجها. لقد توجه اهتمام النظرية الشكلانية نحو التركيز على جانب الانسجام الداخلي للنص الأدبي، مما سيفسح المجال للإعلان عن ميلاد علم للأدب والأدبية نفسها هي موضوع علم الأدب، يقول "جاكبسون"(R.Jakobson): «إن هدف علم الأدب ليس هو الأدب وإنما الأدبية (Littérarité)، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا»[3].ويقصد بها تلك الخصائص النوعية للموضوعات (Objets)الأدبية التي تميزها عن كل مادة أخرى. و الجدير بالذكر أن جاكبسون كان حلقة الوصل الرئيسة بين الشكلانية والبنيوية الحديثة، خاصة من خلال أعماله البحثية في حلقة براغ اللغوية. وقد استطاعت هذه الحلقة أن تخطو« بالدراسات البنائية خطوات هامة،فجنحت إلى التخلص من الطابع الشكلي البحت ولم تعد قاصرة على الدراسات اللغوية والأدبية ،بل امتدت اهتماماتها إلى المجالات الاجتماعية والنفسية والفلسفية دون أن تغفل علم اللغة كنموذج لهذه الدراسات»[4].

3- النقد الجديد(New criticism):

لقد أثر "النقد الجديد" بأمريكا وإنجلترا على حركة النقد المعاصر، إذ هو المحطة الرئيسية السابقة مباشرة للاتجاهين البنيوي وما بعد البنيوي، وقد سيطرت هذه الحركة على الساحة النقدية الغربية لمدة ثلاثة عقود تقريبا من الثلاثينات إلى نهاية الخمسينات.

ويرى المهتمون بتاريخه أن جذوره تعود إلى آراء "إزراباوند" Ezra Pound)(ومقولاته المبعثرة أيام "نادي الشعراء" في لندن عام 1907، أما أشهر ممارسيه المؤسسين: ت.س. إليوت(T.S Eliot، إيفور أرمسترونغ ريتشاردز(I.A Richards)، ويضاف أحيانا إليهم فرانك ريموند ليفيز(R.Leavis)، هذا عن الجانب البريطاني، أما في الجانب الأمريكي فيقابلنا: روبيرت بين وارين(R.P Waren)كلينيت بروكس(C.Brooks)[5].

ولقد اتجه أعلامه إلى المقاربة النقدية الداخلية عن طريق التحليل للمكونات اللغوية والجمالية للعمل الأدبي، وكان هاجسهم هو دفع القارئ إلى اكتشاف "كيف" يعني العمل الأدبي، لا "ماذا" يعني، وذلك عن طريق الاهتمام الدقيق والمتأني بلغة النص الأدبي.

---

[1]-ينظر :صلاح فضل، نظرية البنائية ،ص 45 و46.

[2]-مج من المؤلفين،نظرية المنهج الشكلي(نصوص الشكلانيين الروس) ،تر:ابراهيم الخطيب،مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان،ط1982،1 ،ص16

[3]-المرجع نفسه ، ص35.

[4]-صلاح فضل،نظرية البنائية ،ص128.

[5]-ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،ص313.

أخذت هذه المدارس (مدرسة جونيف، الشكلانية الروسية، النقد الجديد) تتفاعل مع المناخ النقدي العالمي بصفة عامة حتى تشكلت في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن المعالم الواضحة للحركة البنيوية في اللغة والأنثروبولوجيا وعلم النفس والنقد والأدب.

ب- حول مفهوم البنية(Sructure):

لا يمكن استيعاب مفهوم البنيوية أو فهم مرتكزاتها دون العودة إلى تحديد مصطلح البنية لغة واصطلاحا.

لغة: تشتق كلمة "بنية" في اللغة العربية من الفعل الثلاثي "بنى" الذي يدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء[1]، أما في اللغة الفرنسية تشتق كلمة« Structure » من الأصل اللاتيني Stuereالذي يعني البناء أو الطريقة التي يقوم بها مبنى ما[2].

اصطلاحا: تعني البنية الكيفية، التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما، وكما هو واضح، فإن البنية موضوع منتظم له صورته الخاصة ووحدته الذاتية، لأن كلمة بنية في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف« من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون ما هو عليه إلا بفضل علاقته بما عداه»[3].

ونجد أن هذا التعريف يعتمد على فكرة التصور الوظيفي للبنية من حيث هي عنصر جزئي في كل أشمل، أي من حيث نوع العلاقة التي تنتظم العناصر المشكلة للبنية، والتي هي بنى صغيرة تنتظم داخل بنى أكبر ، وهذا ما يؤول إلى القول إن البنية «نظام تحويلي يشتمل على قوانين، ويغتني عبر لغة تحولاته دون تجاوز حدودها،وهي مفهوم تجريدي لإخضاع الأشكال لطرق استيعابها»[4]. وكما هو واضح، فإن تصور البنية يشتمل على ثلاثة خصائص أساسية، حدّدها جان بياجيه في كتابه "البنيوية"على النحو التالي:

-**الكلية (الشمولية) (Totalité)**، وتعني ترابط الأجزاء المكونة لبنية ما طبقا لقوانين داخلية تحدد طبيعة البنية والأجزاء المكونة لها، بحيث تعطي هذه الأجزاء خصائص مختلفة عن خصائص كل جزء بمفرده خارج البنية، ولهذا تختلف البنية عن التجمع الذي ليس لأجزائه خصائص مختلفة عن الخصائص التي تتصف بها خارجه.

- **التحولات(Transformation):** أي أن البنية ليست جامدة بل ذات قدرة على القيام بعمليات تحويلية تهضم أو تمتص من خلالها المادة الجديدة.

- **الانتظام الذاتي (Auto réglage):** ويعني أن البنية لا تحتاج إلى ما هو خارجها، بل تنظم نفسها بنفسها طبقا لقوانين داخلية تغلق النظام لكي لا تتحكم به أنظمة أخرى[5].

---

[1]-صلاح فضل،نظرية البنائية،ص175.

[2]-المرجع نفسه، ص ن.

[3]-سمير حجازي، المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1 2005،ص153.

[4]-المعجم الموحد لمصطلحات الآداب المعاصرة(انجليزي-فرنسي-عربي)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،الرباط ،2005،ص145.

[5]- ينظر:ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية(الأدب والنظرية البنيوية)،تر:ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،سوريا،ط2، 2008، ص53.

ج- البنيوية والنقد الأدبي: مرتكزات منهجية:

تتعامل البنيوية مع الأدب، باعتباره بنية أو صيغة متفرعة عن صيغة أكبر منها هي اللغة، تحكمه قوانين وأعراف محددة. ويصبح الأدب وفق هذا المنظور نوعا من الممارسة الفعلية مقارنة مع الكتابة عموما، وبدوره يصبح هو نفسه بالنسبة لأنواعه نظاما لغويا، وتتحول أنواعه بدورها إلى ممارسات فعلية يهيئ لها الأدب قوانين وأنظمة تجعل هذه الأنواع تأخذ صفاتها النوعية والأدبية[1].

وعليه، يمكن أن ندرس الأعمال الفردية والأجناس الأدبية وكامل الحقل الأدبي على أنها أنظمة تتعلق ببعضها البعض، كما يمكن أن يدرس أدب على أنه وحدة نظام ضمن نظام الثقافة الأوسع.

ومن أجل الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية ودراسة علاقتها وتراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولدها وأدائها لوظائفها، وظف البنيويون مجموعة من المفاهيم الإجرائية المتعلقة بتحليل الأجناس الأدبية المختلفة، على غرار مفهوم الانزياح والثنائيات الجدلية في الشعر، كما استثمر البنيويون ميراث الشكلانية الروسية في دراسة القصة والرواية (خاصة كتاب فلاديمير بروب **Vladimir Propp**)، فقام كل من جريماس **Greimas** وبريمون **Bremond** بتطوير منظومة الوظائف التي حددها "بروب" لدراسة الحكايات الشعبية إلى نظرية جديدة في السرد... أفضت إلى نشوء علم السرديات الحديثة.

وقد اقتضى التركيز على أدبية الأدب اتخاذ عدة إجراءات منها:

- التعطيل المؤقت والمقصود لمحور البحث التاريخي في الأدب وتفعيل المحور الآخر (السانكروني).
- إقصاء الخارج والتاريخ والإنسان وكل ما هو مرجعي وواقعي، والتركيز – في المقابل- على ما هو لغوي، واستقراء الدوال الداخلية للنص دون الانفتاح على الظروف السياقية الخارجية.
- تبني مبدأ أو شعار "موت المؤلف"، حتى لا تصبح البيانات المرتبطة بالمؤلف هي جوهر الدراسة النقدية للأدب أو هي نقطة الارتكاز هي من النص ذاته.

والنص -هنا- هو عبارة عن لغة الاختلافات، ونسق من العناصر البنيوية التي تتفاعل فيما بينها وظيفيا، داخل نظام ثابت من العلاقات والظواهر التي تتطلب الرصد المحايث والتحليل السانكروني الواصف، وذلك من خلال تفكيك النص الأدبي إلى تمفصلاته الشكلية وإعادة تركيبها من أجل معرفة ميكانيزمات النص ومكوناته البنيوية العميقة قصد فهم طريقة بناء النص الأدبي.

[1]-ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،ص72.

د- اتجاهات البنيوية:

يمكن الحديث عن بنيويات وليس بنيوية واحدة، من بينها:

- البنيوية اللغوية(Structuralisme Linguistique): اتجاه متعارف عليه أسسه عالم اللغة دي سوسير، ينظر إلى اللغة في ذاتها أو نسقا لا يعرف سوى نظامه الخاص[1]

- البنيوية الماركسية(Sructuralisme Marxiste): وهي ترتبط أساسا بالفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير(L.Althusser)،الذي حاول الكشف عما تنطوي عليه الماركسية من نزعة علمية مستندا في ذلك إلى الدور الابستمولوجي الذي لعبته فكرة البنية في تفكير ماركس العلمي خلال المرحلة الأخيرة من مراحل تطوره الفكري[2].

- البنيوية الأنثروبولوجية (StructuralismeAnthropologique): يمثلها كلود ليفي شتراوس(C.L Lévi- Strauss)الذي قام بمحاولة منهجية للكشف عن البنيات الكلية العميقة، التي تتجلى في أنظمة القرابة والبنيات الاجتماعية الأكبر، وهذا يعني أن المجتمع محدد بمجموعة من التمثيلات الذهنية اللاواعية التي يتقاسمها أفراده، وأنه ليس ثمة .

و- إشكالات البنيوية: لقد ساهمت البنيوية في تأسيس نقد وصفي محايث يستمد كل مقوماته من اللغة ذاتها، وينهمك بمعاينة النص الأدبي بوصفه نسيجا لغويا.

ولقد قاد هذا الأمر إلى نتيجة غاية في الأهمية، إذ فقدت الدراسات المختلفة خصوصيتها وتوهجها، وظلت أسيرة النموذج اللغوي، ووقعت في مأزق الوصفية الجامدة، وأصبحت نتائج التحليل فيها تتطابق مهما اختلفت حقولها، بسبب اعتمادها نموذجا مسبقا واحدا، وحسب "جونتان كولر" فإن اعتماد البنيوية على الأنموذج اللغوي في الدراسات اللغوية، جعلها تنطلق من نظرة سابقة أصلا للعملية الإبداعية.

ومن أهم الاتهامات التي كان على البنيوية أن تتعامل معها وتبررها هي أن أقطابها أنفسهم تخلوا عن كثير من أطروحاتها، فمثلا نجد "رولان بارت" R.Barthes وهو أحد أهم وأبرز ممثليها، يرفض وينفي في عام 1971 مفهوم العملية البنيوية، ويؤكد أن صرحها أصبح يتفكك من شدة الجوع أو من شدة الشبع.

وإن كان النقد البنيوي يتبنى الوصف المحايد للنص، فقد سبب ذلك سأما لبارت فيما بعد، فراح يؤكد أن الكتابة الأدبية تجعل من المعرفة احتفالا، بل إن الخطاب حول النص لا يمكن أن يكون هو ذاته إلا نصا، وفي هذا خروج واضح عن الوصفية التي هيمنت على المنهج البنيوي، وقد سايره في رأيه هذا تودوروف(T.Todorov)في دعوته إلى ما اصطلح على تسميته ب "النقد الحواري". ونجد في كتاب "دليل الناقد الأدبي" جملة من الاتهامات السلبية التي وجهت للبنيوية:

1- إن البنيوية ليست علما وإنما هي شبه علم يستخدم لغة ومفردات معقدة ورسوما بيانية وجداول متشابكة، تخبرنا في النهاية ما كنا نعرفه مسبقا.

ومن هنا، فالبنيوية ليست فقط مضيعة للجهد والوقت، وإنما هي أذى ضار يسلب الأدب والنقد خصائصها وسماتها الإنسانية[3].

---

[1]- معجم المصطلحات الأدبية، ص157.

[2]- معجم المصطلحات الحديثة، ص 158.

[3]-ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، ص75.

2- تجاهل النزعة الإنسانية -أو لنقل- "اللا إنسانية النظرية:"[1]إن الإعلان عن موت الإنسان (ميشال فوكو) وموت المؤلف (رولان بارت) يكشف عن موقف فلسفي وأنطولوجي من الإنسان ،فالبنيوية «لم تؤمن بقدرة الإنسان على التأثير في التاريخ والواقع الاجتماعي بوصفه ذاتا فاعلة، بل نظرت إليه بوصفه منعزلا وخاضعا لهيمنة الأنموذج اللغوي والأنساق البنيوية»[2].
3- عزل الأدب عن سياقه وعن الذات القارئة.

4- إهمال البنيوية للمعنى، ذلك أن البنيوية «في منهجها الرامي إلى الفصل بين البعدين التاريخي (الدياكروني) والآني(السانكروني)،وفي تركيزها على الدال أساسا، والتقليل من شأن المدلول والمرجع والمعنى وفي تضخيمها لدور النموذج اللغوي عموما وتعميمه على الحياة والتاريخ إنما تؤسس بشكل نهائي لعملية الإيديولوجي والمعرفي وحتى السيمانتيكي(الدلالي) من ساحة النص»[3].

هذه السلبيات وغيرها تضافرت لتقوض دعائم الصرح البنيوي من الداخل وتؤسس على أنقاضه دعائم مشروع جديد هو يؤشر المصطلح الذي اقترن به على ما بعد البنيوية على التشابك المعرفي بين المشروعين.

النقد البنيوي عند العرب:

لم يكن اعتناق البنيوية في الفكر العربي المعاصر، منذ بدايات السبعينيات من القرن المنصرم، أمرا فجائيا ومن دون مقدمات معرفية، فقد ظهرت بوادر هذا المنهج في أواسط الستينيات تحت مسميات مختلفة(النقد الموضوعي، النقد الفني، النقد الجمالي، النقد التحليلي...)، وقد كان رائد هذه المرحلة الناقد رشاد رشدي الذي بذل جهودا كبيرة من أجل ترسيخ مبادئ هذا المنهج وتكوين خلف له يحملون الراية من بعده ، وكان من هؤلاء الذين نحوا نحوه: محمود الربيعي ، محمد عناني، سمير سرحان ، عبد العزيز حمودة، مصطفى ناصف...

لقد هيأ هؤلاء النقاد وغيرهم ممن تبنوا طروحات النقد الجديد ، أجواء التلقي البنيوي، مع مطلع السبعينيات، هذا العقد الذي شهد بروز النقاد المغاربة بمرجعيتهم الفكرية الفرانكوفونية، وربما كان كتاب الناقد التونسي " حسين الواد"(البنية القصصية في رسالة الغفران) هي أول الحصاد النقدي البنيوي سنة 1972، وقد تلت هذه المحاولة الرائدة جهود أخرى تشاطرها المنطلق المنهجي البنيوي ، على اختلاف آلياته واتجاهاته منها:كمال أبو ديب(كتاب في البنية الإيقاعية للشعر العربي) سنة 1974، ثم كتابه اللاحق (جدلية الخفاء والتجلي)1979، ومحمد رشيد ثابت (البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام)1975، وكتاب إبراهيم زكريا (مشكلة البنية)1976، وكتاب صلاح فضل(نظرية البنائية في النقد الأدبي)1978، وكتاب محمد بنيس(ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب)1979،....

هكذا ، كلما اتجهنا نحو نهاية السبعينيات ، اتضحت لنا ملامح نظرية تسعى إلى تكوين معرفة داخلية عميقة بالنص الأدبي ، باعتباره نسيجا من العناصر اللسانية، على نحو ما تمثل تطبيقا عند حسين الواد وغيره من النقاد الذين أشرنا إليهم أعلاه، هذه التطبيقات البنيوية تشكل علامة دالة على وجود تغيير

---

[1]-مج من الباحثين،معرفة الآخر(مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1996،2،ص66.
[2]-فاضل ثامر ، اللغة الثانية،ص144.
[3]-المرجع نفسه ،ص 137و138.

في النظرة إلى مفهوم الأدب من كونه مرآة ذاتية واجتماعية، إلى كونه جوهرا لسانيا. وإذا ما انتقلنا إلى الثمانينيات وجدنا البنيوية تنتشر انتشارا واسعا في المشهد النقدي العربي، بفضل المجلات النقدية مثل مجلة فصول المصرية ، وعالم الفكر الكويتية وغيرهما من المجلات المتخصصة في الوطن العربي، كما انتشرت بشكل واضح في المنطقة المغاربية (تونس ، المغرب ، الجزائر) ، حيث أن الكتاب المغاربة احتضنوا على نطاق واسع منذ الثمانينات النظريات البنيوية في اللسانيات والأسلوب والشكل الأدبي و الفلسفة وعلم النفس و السوسيولوجيا وغيرها من الميادين المعرفية.

وقد اضطلع هؤلاء الكتاب المغاربة بثقافتهم الفرانكوفونية ، بمهمة التبشير والتعريف بالقيم النظرية والفكرية الجديدة. هؤلاء المثقفون ، كتّابا ومترجمين، كانوا على درجة عالية من التحسس لذلك الانقلاب في الفكر الغربي، و لاسيما الفكر الفرنسي ، وتحوله من فكر خاضع لمنطق التعاقب التاريخي إلى فكر لاتاريخي تتحكم فيه مفاهيم: التزامن ، البنية الرؤية اللغوية.

وإذا ما حاولنا رصد تجليات الاستقبال العربي للبنيوية وذلك من خلال ما كتبه النقاد العرب، في المشرق والمغرب، فإننا نلحظ أن الدراسات العربية التي انتهجت النهج البنيوي قد توزعت على النحو التالي:

- الترجمة من النظريات النقدية الغربية إلى اللغة العربية.

- مراجعة الموروث العربي، للخروج بأوجه اتصال، وتقابل بينه وبين ما طرحه النقد الغربي.

- التطبيق، و تناول النصوص العربية القديمة والحديثة، وإسقاط النظريات النقدية عليها.

هذا ، وقد شكل حضور البنيوية بوصفه منهجا بحثيا في النطاق العربي، علامة فارقة و محطة مفصلية في مسار البحث النقدي العربي ، مثلما يؤكده الجدل الذي دار حولها في الثقافة العربية، تبنيا أو نقدا أو مناهضة. و قد اجتهد الباحث ناظم عودة في تصنيف الجدل الذي دار حول البنيوية آنذاك وقد ضمنها في عدة نقاط، هي كالتالي:

1-حول دقة ترجمة المصطلح البنيوي إلى العربية.

2-حول التعارض بين السياقين : السياق الثقافي الذي نشأت وتطورت فيه النظريات البنيوية، والسياق الثقافي الذي نقلت إليه، وهو سياق الثقافة العربية. وهنا ينبغي ملاحظة قضية جوهرية، هي أن كل فكر مجلوب إلى هذه الثقافة وفيه إقصاء لعمل : التاريخ، وتأثيراته المستمرة، ومساهمته في تشكل أفق الفهم والإدراك، سوف ينال نصيبا من الريبة والمناهضة الطاردة، كأنه جسم غريب دخل إلى دم الثقافة العربية.

3- حول غموض وتعقيد المفاهيم البنيوية.

4- حول مقاومة تقبل هذا النمط من القراءة والتحليل في الفكر النقدي العربي.

5-حول اختزالية العمل الأدبي إلى: اللغة، المغلقة على ذاتها ؛ أي لغة النص لا لغة السياقات اللانصية كالإيديولوجيا، والواقع، وموقع المؤلف ورؤيته، وتحولات التاريخ.

6-حول تجريدية المفهوم البنيوي، وتجاوزه منظومة القيم الإنسانية الكلاسيكية، كالأخلاق ، والذات، والحقيقة، والهوية.

7- حول إسرافه في إعطاء معنى للعناصر الجزئية في العمل الأدبي التي ظلت لقرون تستعمل باعتبارها وسيلة لإنتاج المعنى . و عوملت في الثقافة العربية على هذا الأساس، وهكذا جاءت الفرضية البنيوية في جعل هذه العناصر حاملة للمعنى ومنتجة له، لتفكك ثابتا من ثوابت هذه الثقافة.